الفصل الثاني

خاصية، وحكم، وتاريخ الإسناد

المبحث الأول

الإسناد من خصائص الإسلام

المبحث الثاني

حكم الإسناد

المبحث الثالث

تأريخ الإسناد

المبحث الأول

« الإسناد من خصائص الإسلام »

الإسناد من خصائص الأمة المحمدية وكرامة ونعمة ربانية، ليس لأمة من الأمم السابقة ولا لطائفة غير أهل السنة، وقد استشعر أهل الحديث هذه الكرامة والصفة، والنعمة المزجاة، فحافظوا عليها واجتهدوا في تحقيقها، ورسمها واقعًا عمليًا، وحثُّوا على ذلك ورغَّبوا فيه وجعلوه من الدين والسنة المتبعة، وحذروا من مسلك اليهود والنصارى في رواية أحوال دينهم الذي كان مصدره التبديل والتحريف لفقده العدول النقلة بسلسلة حديثية عن أنبيائهم عليهم السلام الصادقين فيما بلغوا أممهم.

يقول القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: «والله أكرم هذه الأمة بالإسناد لم يُعطه أحد غيرها، فاحذروا أن تسلكوا مسلك اليهود والنصارى، فتحدثوا بغير الإسناد، فتكونوا سالبين نعمة الله في أنفسكم مطرقين للتهمة إليكم خافضين لمنزلتكم، ومشتركين مع قوم لعنهم الله وغضب عليهم، وراكبين لسفنهم»[1].

ويقول الخطيب البغدادي رحمه الله: «إن الله أكرم هذه الأمة وشرَّفها وفضَّلها بالإسناد وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييز بين ما لحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروفة من زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون أشد البحث حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة

---

(1) فهرس الفهارس والإثبات (١/ ٨٠).

لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهًا وأكثر حتى يهذبوه من الغلط والزلل، ويضبطون حروفه ويعدُّوه عدًا، فهذا من أعظم نعم الله تعالى على هذه الأمة»[1].

وقال ابن حزم رحمه الله: «نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرًا، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه، وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب، أو مجهول العين، فكثير من اليهود والنصارى». ثم قال: «وأما أقوال الصحابة والتابعين، فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلًا، ولا تابع له، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص»[2].

وقال أبو علي الجياني رحمه الله **ت (٣٠٣هـ)**: «بلغني أن الله خصَّ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها من الأمم الإسناد، والأنساب، والإعراب»[3].

وقال المناوي رحمه الله **ت (١٠٣١هـ)**: «وقد أكرم الله هذه الأمة بالإسناد، وجعله من خصوصيتها من بين العباد، وألهمهم شدة البحث ذلك حتى إن الواحد يكتب من ثلاثين وجهًا فأكثر»[4].

وقال محمد بن حاتم المظفر رحمه الله: «إن الله تعالى قد كرَّم هذه الأمة وشرَّفها

---

(1) شرف أصحاب الحديث (٤٠ (٧٦).

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٨١، ٨٤).

(3) فتح المغيث (٣/ ٢)، تدريب الراوي (٢/ ١٦٠).

(4) فيض القدير (١/ ٤٣٤).

وفضَّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد موصول، إنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم»[1].

وقد أعد العلماء من يروي بدون إسناد من المرضى أهل العلل الذين أصيبوا بمرض الرواية من دون إسناد، فقد كان عبد الله بن طاهر رحمه الله ت (٢٣٠هـ) إذا سأل إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رحمه الله ت ٢٣٨هـ عن حديث، فذكره له بغير إسناد سأل عن إسناده، ويقول: رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزمنى -أي المرضى- فإن إسناد الحديث كرامة من الله ـ عز وجل ـ لأمة محمد»[2].

ومع أنه خصيصة من خصائص هذه الأمة دون غيرها، فهو خصيصة لأهل السنة من دون غيرها من الفرق المبتدعة.

يقول ابن تيمية رحمه الله ت (٧٢٨هـ): «وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجعله سُلّمًا إلى الدراية، فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات، وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات، وإنما الإسناد لِـمَنْ أعظم الله عليه المنة؛ أهل الإسلام والسنة يفرقون به بين الصحيح، والسقيم، والمعوج، والقويم، وغيرهم من أهل البدع والكفار، إنما عندهم منقولات يأثرونها بغير إسناد وعليها من دينهم الاعتماد وهم لا يعرفون الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل»[3].

وقال رحمه الله: «الإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة»[4].

---

(1) شرح المواهب (٥/ ٣٩٤)، فتح المغيث (٣/ ٤)، توضيح الأفكار (٢/ ٤٠٠).

(2) فتح المغيث (٣/ ٤).

(3) مجموع الفتاوى (١/ ٩).

(4) منهاج السنة (٧/ ٣٩).

المبحث الثاني

«حكم الإسناد»

الإسناد أمره عظيم ومكانته مهمة وحكمه يكمن في الحكمة من وجوده وما يتجلى له من مآثر ومحاسن، وهو ما دفع العلماء إلى الاهتمام به، فهو سنة مؤكدة، أو فرض كفاية ليس في حق من خُدِمَ في نقل الحديث إليه بسنده، عُلِمَ صحته، أو لم يكن لديه القدرة على الإسناد، أو البحث عن ذلك.

يقول علي القاري رحمه الله **ت (١٠١٤هـ)**: «أصل الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسنة بالغة من السنن المؤكدة، بل من فروض الكفاية»[(١)].

ويقول الحسن بن محمد الطيبي رحمه الله **ت (٧٤٣هـ)**: «الإسناد خصيصة من خصائص هذه الأمة، وسنة من السنن البالغة، وطلب العلو فيه سنة أيضًا، ولذلك استُحِبَتْ الرحلة وعلوه ببعد من الخلل والمتطرق إلى كل راوٍ»[(٢)].

ويقول العراقي رحمه الله **ت (٨٠٦هـ)**: «أصل الإسناد أولًا خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسنة بالغة من السنن المؤكدة»[(٣)].

وقال القسطلاني رحمه الله **ت (٩٢٣هـ)**: «الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسنة بالغة من السنن المؤكدة»[(٤)].

---

(1) شرح شرح النخبة (١٩٤).

(2) الخلاصة في أصول الحديث (٥٣).

(3) التقييد والإيضاح (١٩٩).

(4) شرح المواهب (٥/ ٣٩٣).

وقال أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي رحمه الله ت (١٣٠٤هـ): «الإسناد مطلوب في الدين قد رغَّب إليه أئمة الشرع المتين، وجعلوه من خصائص أمة المرسلين، وحكموا عليه بكونه سنة من سنن الدين»[(١)].

ويعد سنة محبوبة يُرَّغب فيها لما لها من آثار علمية، فإذا انتفت الفائدة، فالأَوْلَى عدم العناء فيما لا فائدة فيه.

يقول العظيم آبادي رحمه الله ت (١٣٢٩هـ): «والإسناد العالي سنة محبوبة، ومقرِّبٌ من رسول الله ﷺ، رتبة مطلوبة»[(٢)].

هذا في حق الصدر الأول من علماء الحديث، وأئمة الدين الذي كان نُقِل الحديث بينهم بالسماع وما في حكم ذلك، أما بعد جمع السنة وكمال ذلك في إسناد هؤلاء العلماء، فإنه لم يبقَ لنا إلى رواية ذلك إلا عن طريقهم، ويكفي عزو الحديث إليهم وخاصة من كان قد جعل كتابه صحيح لا يختلط به السقيم، وأما من جمع الضعيف مع الصحيح، فإننا نعزوا ذلك ولو بدون إسناد ونذكر أقوال العلماء المتقدمين في ذلك وحكم المتأخرين.

أما أن يكون إسناد الحديث في حقنا مثل هؤلاء من حيث الأهمية فإنه لا يكون في تلك الدرجة، وما يحرص عليه الآن بعض طلبة العلم من السفر لمقابلة شيخ، أو أخذ إسناد عنه، فإنني أرى ذلك فيه تكلف فيما يبذله الساعي إلى ذلك من وقت، وما يترتب عليه من تبعات مالية، وما يكون في ذلك من ترك ما هو أولى منه.

ثم ما هي المنافع العلمية المترتبة على ذلك، فقد انتهى دور الإسناد من حيث نقل الحديث النبوي، ولم يبقَ لنا إلى معرفة أحوال تلك الأسانيد من حيث

---

(1) الأجوبة الفاضلة (٢١).

(2) الوجازة في الإجازة (٦٣).

الصحة والضعف والثابت إلا بأسانيد المتقدمين وغير الثابت، علمًا أن هذه الأسانيد والتي تزيد عن عشرين راويًا، بل أكثر من ذلك في هذا العصر، فإنها لا تخلو في كثير منها من مجاهيل، وكذلك من أحوال لبعض النقلة، ولما لها على نفس المهتم بها من أثر، وهو يخالف ما أثبته العلماء من أن قلة رجال الإسناد وعلوه من أسباب قلة الوهم، ثم ما هي الفائدة المترتبة على ذلك الإسناد من حيث الناحية العلمية، والدراسة الحديثية لا شيء. فالأولى في حق طالب العلم الاشتغال بما هو أنفع منه، وهذه الأسانيد تنتهي إلى إمام مسند، أو مصنف قد أسند كتابه ولا فائدة منها إلا المباهاة وإليك نموذجًا من هذه الأسانيد المتأخرة.

يقول الشيخ العظيم آبادي رحمه الله: «حدثني بالحديث المسلسل بالأوليَّة حقيقة شيخنا العلامة القاضي حسين بن محسن الأنصاري اليماني، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثني به شيخنا الشريف محمد بن ناصر الحازمي، وهو أول حديث سمعته منه. قال: حدثني به شيخنا العلامة محمد عابد السندي المدني. قال: حدثني به شيخي صالح بن محمد الفلاني المغربي، ثم المدني. قال: حدثني به محمد بن محمد بن سنة العمري المغربي. قال: حدثني به الشريف أبو عبد الله محمد الواولتي. قال: حدثني به محمد بن خليل بن أراكماش الحنفي، قال: حدثني به الحافظ الإمام ابن حجر العسقلاني، قال: حدثني به الحافظ عبد الرحيم العراقي، قال: حدثني أبو الفتح محمد بن محمد الميدومي، قال: حدثني به عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراثي، قال: حدثني به أبو الفراج ابن الجوزي، قال: حدثني به أبو سعيد إسماعيل ابن أبي صالح النيسابوري، قال: حدثني به والدي أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن. قال: حدثني به أبو الطاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، قال: حدثني به أبو حامد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار، قال: حدثني به عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدي النيسابوري، قال: حدثني به سفيان بن عيينة، قال حدثني به عمرو بن دينار، قال حدثني به قابوس

مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمر بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن ـ تبارك وتعالى ـ ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء**»(١).

وهذا الإسناد يعتبر لشيخ العظيم أبادي من العوالي؛ لأن بينه وبين سفيان بن عيينة سبعة عشر، وعشرون واسطة، وهو من العوالي فكيف بمن كان متأخر عن عصـر العظيم أبادي المتوفي سنة (١٣٢٩هـ) أي: بعده بقرن كامل سيكون ذلك أكثر وسائط بلا شك.

(١) الوجادة في الإجازة (٤٥، ٤٦).

المبحث الثالث

«تاريخ الإسناد»

الإسناد تأريخه تاريخ هذا الدين، فالتعامل به لم يكن وليد عهد، أو مرحلة من مراحل هذا الدين منفكّ عن بدايته، بل كان منذُ عهد النبوة.فقد كان من الصحابة من يُلزم به من يحدثه، وعند ظهور الفتنة كانت الحاجة إليه وظهوره أوضح، لظهور الوَضَّاعين، مما حدا بالصحابة إلى التحري في السماع فيما يُنْقَل والتثبت فيما يحدثون به.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم»(١).

وما رُوي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه جاءت الجدَّة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها فقال: مالك في كتاب الله ـ تعالى ـ شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضـرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاها السدس.

فقال أبو بكر: هل معك غيرك ؟

فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر»(٢).

وما ورد عن عمر ـ رضي الله عنه ـ: «أنه نشد الناس؛ مَنْ سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضـى في السقط ؟ وقال شعبة: أنا سمعته قضى فيه بغُرة عبد، أو أمة، قال: ائت من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٤) وإسناده صحيح.

(2) أبو داود (٣/ ١٦) رقم (٢٨٩٤)، الترمذي (٤/ ٤٢٠) رقم (٢١٠١)، ابن ماجة (٢/ ٩٠٩) رقم (٢٧٢٤)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٧٣، ٧٤).

يشهد معك على هذا، فقال محمد بن مسلمة: أنا أشهد على النبي ﷺ قضى به»[1].

وعن أبي سعدي الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يُؤذن لي.

فرجعت.

فقال: ما منعك ؟

قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت. وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع».

فقال: والله لتقيمن عليه بينة أمنكم أحدٌ سمعه من النبي ﷺ ؟

فقال أُبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبر عمر أن النبي ﷺ قال ذلك»[2].

أما قول ابن سيرين رحمه الله:

«لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سَمُّو لنا رجالكم؛ فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[3].

فهذا لا يقتضي عدم وجود الإسناد والاهتمام به والتثبت قبل الفتنة في الرواية. يدل على ذلك فعل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كما تقدم لكنهم كانوا جميعهم عدول وهذا لم يكن الإسناد شائع شيوعه وقت ظهور الفتنة، لأنه عند ظهور

---

(1) البخاري (١٢/ ٢٤٧) رقم (٦٩٠٥).

(2) البخاري (١١/ ٢٦) رقم (٦٢٤٥).

(3) مسلم في المقدمة (١/ ١٥).

الفتنة أصبح أمرًا ملحًا أكثر من ذي قبل لاختلاف عدالة النَقَلة فأصبح شيئًا ملزمًا.

يقول البراء بن عازب ـ رضي الله عنه **ـ**: «ليس كُلنُّا سمع حديث رسول الله ﷺ كانت لنا ضيعة وأشغال، وكان الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدِّث الشاهد الغائب»[1].

وقال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه **ـ**: «ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضًا»[2].

وقد ورد في الأثر أن النقل عن طريق الإسناد متصل به ﷺ وأن النشأة من عهده.

وعن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ فقد قال:

«تسمعون، ويُسمع منكم، ويُسمع ممن يسمع منكم»[3].

وهذا يدل على أن تداول الإسناد ونشأة ذلك من عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وفيه معجزة نبوية.

وعن ثابت بن قيس عن رسول الله ﷺ قال: «تسمعون، ويُسمع منكم، ويُسمع من الذين يسمعون منكم، ثم يأتي من بعد ذلك قوم سمان يحبون السمن،

---

(1) الكفاية (٢٤٢).

(2) الكفاية (٤٢٥).

(3) أحمد (١/ ٣٥١)، أبو داود (٤/ ٦٨) رقم (٣٦٥٩)، وابن حبان (١/ ٢٦٣) رقم (٦٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥)، البيهقي في السنن (١٠/ ٢٥٠)، وصححه الحاكم ولم يتعقبه الذهبي. وقال العلائي: وهذا حديث حسن من حديث الأعمش، بغية الملتمس (٢٤). قال الألباني: صحيح أبي داود (٢/ ٦٩٧) رقم (٣١٠٧). والصحيحة رقم (١٧٨٤).

يشهدون قبل أن يسألوا»[1].

قال ابن حبان رحمه الله: «ذِكْرُ الإخبار عن سماع المسلمين السنن خلف عن سلف»[2].

(1) البزار مختصر الزوائد (١/ ١٢١) رقم (٨٤)، الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٩١)، والطبراني في الكبير رقم (١٣٢١).

(2) صحيح ابن حبان (١/ ٢٦٣).